

دروس في أصول فقه الإمامية

[429] ومن هنا وقع الاختلاف في تعيين ظهورات الألفاظ وتحديد معانيها (1). ولناخذ مثالا لذلك قولنا: (اتخذ من هذا الرغيف عشاء لك) فالذي يستظهر من هذه الجملة أو هذا الكلام هو أن للمخاطب أن يأكل الرغيف كله، وله أن يتناول منه كفايته، أي بعضه. وبلغه نحوية: أن (من) - حرف الجر - المذكور في الجملة قد يكون زائدا ويصبح المعنى (اتخذ هذا الرغيف عشاء لك)، وقد يكون تبعيضا ويكون المعنى (اتخذ بعض الرغيف عشاء لك). ولكن الموقف يختلف في تعاملنا مع الآية الكريمة * (واتخذوا من مقام إبراهيم صلى) * فإن أريد من الصلاة التي تؤدي في مقام إبراهيم الدعاء فالمقام يتسع لأن يكون مقام دعاء، وإن أريد من الصلاة ذات القيام والركوع والسجود والجلوس فالمقام لا يتسع لها، فلا تأتي (من) - هنا - زائدة بحيث يكون المعنى * (واتخذوا مقام إبراهيم صلى) *، ولا تبعيضية لعدم اتساع المقام بكامله للصلاة فكيف ببعضه. إذن، لابد من أن نلتزم لها معنى آخر، وهو العندية - كما يقول الفقهاء - أي صلوا عند مقام إبراهيم. ثم أن العندية، هل يقتصر فيها على الخلفية المباشرة للمقام، أو تمتد بامتداد المسجد.. وهكذا. كل هذه الاختلافات ترينا أن المعنى هو الفكرة (المفهوم الذهني)، الذي يتأثر - عند محاولة فهمه - بذكاء الشخص وانتباهه، وما يمتلك من خلفيات ثقافية، وبحدود نظريته لماجريات الحياة. يقول الدكتور السعران في كتابه (علم اللغة (2)): _____ (1) - م. ن. (2) - علم اللغة 269 - 270. (*)